العدول عن التطابق عند ابن الجوزي (ت597هـ) في كتابه المورد العذب في المواعظ والخطب دراسة نحوية دلالية

حيدر مجيد جابر محسن

Haidar.Jaber2207m@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

أ.م. د كواكب محمود حسين

جامعة بغداد/ كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانيّة/ قسم اللغة العربيّة

kawakib.mahmood@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

الملخص:

يروم هذا البحث إلى إثارة مجموعة من الأسئلة ومُحاولة الإجابة عنها، أو فتح آفاق جديدة للإجابة عنها: ما هو التطابق عند اهل اللغة والاصطلاح؟

-كيف كان العدول عن هذا التطابق عند ابن الجوزي؟

-هل افاد ابن الجوزي من هذا العدول أو الخروج في رسالته الوعظية؟

الكلمات المفتاحية: التطابق، العدول عن التطابق في العدد، العدول عن التطابق في الجنس، العدول عن التطابق في الضمير.

Abstract
This study aims to raise a set of questions and attempt to provide answers, or at least open new horizons for further inquiry :
-What is conformity (tatābuq) according to linguists and terminologists?
-In what ways did Ibn al-Jawzi depart from this conformity in his rhetorical practice?
-Did Ibn al-Jawzi benefit from such deviation or departure in his admonitory discourse?
Keywords: Agreement, Deviation from Agreement in Number, Deviation from Agreement in Gender, Deviation from Agreement in Pronoun.

المقدمة:

يعد ابن الجوزي واحدًا من القلائل الذين جمعوا بين علوم كثيرة، إنسانية وعلمية، فكان علامة عصرة في مختلف العلوم، وكان لغويا مميزا، لكنه برع في فن الوعظ والإرشاد، فكان خطيبا بارعا، وواعظا متميزا.

ويهدف هذا البحث الى تسليط الضوء على المخالفة أو العدول عن التطابق في العدد والجنس والضمير، وما لهذا العدول من أثر دلالي، وقد اتخذ الباحث المنهج الوصفي التحليلي سبيلا للوقوف على ما ورد عند ابن الجوزي من هذا العدول.

وشمل البحث تمهيدا تناول الباحث فيه معنى التطابق في اللغة والاصطلاح، وأسباب واغراض العدول عن التطابق، ثم المطالب الرئيسة في البحث وهي: العدول عن التطابق في العد، والعدول عن التطابق في الجنس، والعدول عن التطابق في الضمير من الغيبة الى الخطاب، ومن الخطاب الى الغيبة، منهيًا البحث بخاتمة فيها اهم ما توصل اليه البحث من نتائج.

التمهيد

1- التطابق لُغةً:

جاء التطابق في المعجمات بمعنى التشابه، والتماثُل، " أطبَقَ القوم على هذا الأمر أي اجتمعوا وصارت كلمتهم واحدة، وطابَقَتِ المرأة زوجها إذا واتته على كلّ الأمور، وطابَقْتُ بين الشيئين: جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما فيسمى هذا المُطابَقَ" (الفراهيدي، 1985: مادة (طبق)، 108/5- 109)، "وكل شَيْء طوبق بعضه على بعض فالأعلى طبق للأسفل، والطبقة: الْقَوْم المتشابهون" (ابن دريد، 1987، مادة (طبق): 358/1)، "والْمُطَابقَة أَن يضع الفرسُ رجلَه فِي مَوضِع يدِه؛ وَهُوَ الأحَق من الخَيل" (الأزهري، 2001: مادة (طبق)، 30/9).

وقال ابن فارس: "الطَّاءُ وَالبَاءُ والقَافُ أَصلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يَدُلُّ على وَضعِ شَيءٍ مَبسُوطٍ على مِثلِهِ حَتَّى يُغَطِّيَهُ مِن ذلكَ الطَّبَقُ، تقول: أَطبَقتُ الشَّيءَ على الشَّيءِ، فالأولُ طَبَقٌ للثاني، وَقَدْ تَطَابَقَا، ومِنْ هذا قَولُهُم: أطبقَ الناسُ على كَذا، كَأنَّ أقوالَهُم تساوَتْ حتَّى لو صُيِّرَ أحدُهُمَا طِبْقًا للآخر لَصَلَحَ" (ابن فارس، 1979، مادة (طبق): 439/3)، و"طابَقَهُ مطابَقةً وطِباقا، وتطابَقَ الشيئَان: تساوَيا، والمُطابَقةُ: المُوافَقة، والتَّطابُق: الِاتِّفَاقُ" (ابن منظور، 1414ه، مادة (طبق): 209/10).

2- التطابق اصطلاحًا:

ورد هذا المصطلح عند النحاة عند حديثهم عن موضوعات نحوية مختلفة، فقد تحدث سيبويه عن التطابق بين الصفة والموصوف في التعريف والتنكير في قوله: "واعلم أنَّ المعرفة لا توصف إلا بمعرفة كما أنَّ النكرة لا توصف إلا بنكرة" (سيبويه، 2009: 2/4).

وذكر ابن الحاجب التطابق أو المطابقة في موضوع (التطابق والتخالف بين المبدل والمبدل منه) بقوله: "ويكونان معرفتين، ونكرتين، ومختلفين، وإذا كان

نكرة من معرفة فالنعت، مثل: بِٱلنَّاصِيَةِ نَاصِيَة كَٰذِبَةٍ (العلق: 15-16)، ويكونان ظاهرين، ومضمرين، ومختلفين، ولا يبدل ظاهر من مضمر بدل الكل إلا من الغائب، نحو: (ضربتهُ زيداً)" (ابن الحاجب، 2010: 31)، (الأستربادي، 1996، ينظر: 387/2).

وتحدث ابن هشام عن التطابق مثلاً بين المبتدأ والخبر فقال: "ولا يحفظ مثل (نحن قائمٌ)، بل يجب في الخبر المطابقة" (ابن هشام: 623/2). فالتطابق عنده هو مراعاة التناسب بين أجزاء الكلام على مقتضى القواعد.

وتحدث الدكتور تمام حسان من المحدثين عن المطابقة، بقوله: "مسرح المطابقة هو الصيغ الصرفية والضمائر، فلا مطابقة في الأدوات، ولا في الظروف مثلاً إلا النواسخ المنقولة عن الفعلية، فإن علاقتها السياقية تعتمد على قرنية المطابقة" (حسان، 2006: 211)، وتحدث عن ترك المطابقة في العلامة الإعرابية بين التابع ومتبوعه، وتركها في الشخص كما في ترك الضمير العائد على الموصول، وترك المطابقة في العدد نحو قوله تعالى: ((وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنا قَلِيلا وَإِيَّيَ فَٱتَّقُونِ)) (البقرة: 41)، (حسان، 2006، ينظر: 237-238).

وتحدث الدكتور علي أبو المكارم عن أنَّ " صور التطابق الممكنة بين أجزاء التركيب أربعة، تمتد فروعها إلى عشرة؛ إذ التطابق يأخذ واحدًا من كل من: الموقف الإعرابي، والتعريف، والتنكير، والإفراد، والتعدد، والتذكير والتأنيث" (أبو المكارم، 2006: 207).

أما البلاغيون فقد ذكر الجرجاني (ت471هـ) أنَّ التطابق هو الانسجام الطبيعي بين المعنى واللفظ؛ أي أن المعنى يقتضي صورة لفظية معينة، فإذا جاء اللفظ مطابقًا لها تحقق الانسجام (الجرجاني، 1992، ينظر: 52-53).

أمَّا السكاكي (ت626هـ) فيرى أن التطابق هو أصل في البيان بقوله: "لا شبهة في أنَّ اللفظة متى كانت موضوعة لمفهوم أمكن أن تدل عليه من غير زيادة ولا

نقصان بحكم الوضع، وتسمى هذه دلالة المطابقة ودلالة وضعية " (السكاكي، 1987: 329).

ووفق ما سبق يمكن أن نلخص تعريف التطابق بأنه: هو التوافق بين عناصر الكلام في الإعراب أو المعنى أو السياق، بحيث ينسجم التركيب مع مقتضى الحال دون خلل أو تنافر. ويظهر في صور متعددة: تطابق الفعل والفاعل في العدد والجنس، تطابق المبتدأ والخبر، أو تطابق الضمير مع مرجعه. أما في البلاغة فيتجاوز الجانب النحوي ليشمل الانسجام الأسلوبي والدلالي.

ب- العدول عن التطابق أو المخالفة:

إنَّ ما يقابل المطابقة أو التّطابق هو العدول عنها، ويسمى أحيانًا المخالفة، وهو موضع البحث، لكن علماء البلاغة والأدب لم يذكروا المطابقة بهذا الاسم، ولا العدول عنها تحت مسمى (المخالفة)، بل ذكروا العدول عن المطابقة باسم (الالتفات).

فعرف ابن المعتز (ت296هـ) الالتفات بأنه "انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار، وعن الإخبار إلى المخاطبة، وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر، قال الله جل ثناؤه: حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُم فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيح طَيِّبَة (يونس: 22)" (ابن المعتز، 1990: 153).

وذكر الخطيب القزويني (ت739هـ) الالتفات بوصفه العدول عن المطابقة، ضمن الالتفات من المتكلم إلى الخطاب قوله تعالى: وَمَا لِيَ لَآ أَعبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ (يس: 22)، ومن التكلم إلى الغيبة، قوله تعالى: إِنَّآ أَعطَينَٰكَ ٱلكَوثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنحَر (الكوثر: 1-2)...إلخ (القزويني: ينظر: 2/87-88).

وعرفه الزركشي بأنه " نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب آخر تطرية، واستدرارا للسامع، وتجديدًا لنشاطه، وصيانة لخاطره من الملال والضجر بدوام الأسلوب الواحد" (الزركشي، 1957: 3/314).

ومهما يكن من امر فإنَّ العدول أو الالتفات أو المخالفة هو في الحقيقة ترك الأصل المألوف في التوافق النحوي أو البلاغي، كأن يُخالف الفعل الفاعل في العدد أو يُغيَّر الضمير فجأة، ولا يكون ذلك إلا لغرض إضافة معنى آخرًا.

3- أسباب وأغراض العدول عن التطابق (الالتفات):

1- التعظيم: فمن موارد المخالفة أنها تأتي لأجل تعظيم شأن المخاطب كما في قوله تعالى ٱلحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلعَٰلَمِين (الفاتحة: 2)، فالحمد اختار معه لفظ الغيبة (هو رب العالمين) وهذا الموضع لا يختص به إلا الله عز وجل، ثم انتقل من لفظ الغيبة وعدل إلى لفظ الخطاب في قوله: إِيَّاكَ نَعبُدُ وَإِيَّاكَ نَستَعِينُ ، (الفاتحة: 5) لأنه لما ذكر بعد الحمد من الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 2/4-5) (القزويني: 2/ 91-92).

2- تنشيط السامع وإبعاده عن الملل والضجر: من خلال تنويع الأساليب، فينتقل من الخطاب إلى الغيبة أو العكس، وغيرها من أساليب العدول (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 3/2)، (العلوي، 1423ه، ينظر: 72/2).

3- التوبيخ والتحذير: كما في قوله تعالى: وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحمَٰنُ وَلَدا لَّقَد جِئتُم شَيأً إِدّا ، (مريم: 88-89) فقد انتقل من صيغة الغائب إلى صيغة الخطاب، زيادة في غضب الله عليهم والتعرض لسخطه وتنبيه على عظم ما قالوا، ومنه أيضًا قوله تعالى: وَمَا لِيَ لَآ أَعبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيهِ تُرجَعُونَ (يس: 22)، فالأصل: (وإليه أرجع)، لكنه نقل الخطاب إليهم توبيخًا وتحذيرًا لهم ودعوةً لهم إلى الله (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 5/2)، (السيوطي، 1974، ينظر: 289/3).

4- قصد التأكيد والمبالغة: نحو قوله تعالى: هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُم فِي ٱلبَرِّ وَٱلبَحرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُم فِي ٱلفُلكِ وَجَرَينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَة وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتهَا رِيحٌ عَاصِف وَجَآءَهُمُ ٱلمَوجُ مِن كُلِّ مَكَان (يونس: 22)، فانتقل من أسلوب الخطاب في (كنتم) إلى الغيبة في (وجرينَ بهم) وما بعدها، والغرض منه كأنه يذكر حالهم

لغيرهم ليتعجب منها ويستدعي الإنكار والتقبيح إشارة منه إلى المبالغة بأن ما يعتمدونه بعد الإنجاء من البغي في الأرض بغير الحق مما ينكر ويقبح (الزركشي، 1957، ينظر: 329/3).

5- قصد الدلالة على الاختصاص: كقوله تعالى: وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرسَلَ ٱلرِّيٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابا فَسُقنَٰهُ إِلَىٰ بَلَد مَّيِّت فَأَحيَينَا بِهِ ٱلأَرضَ بَعدَ مَوتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ، (فاطر: 9) فإنه قد عدل من الغيبة في (تثير سحابا) إلى التكلم في (سقنا، وأحيينا)؛ لأنّ سوق السحاب إلى البلد الميت، وإحياء الأرض بعد موتها بالمطر دالاً على القدرة الباهرة الذي لا يقدر عليها الا الله، فعدل من لفظ الغيبة إلى التكلم للاختصاص به وحده (الزركشي، 1957: 329/3).

وتتحقق صور المطابقة في كل من (حسان، 2006، ينظر: 211-213):

1- الإعراب.

2- الشخص (التكلم، والخطاب، والغيبة).

3- العدد (الإفراد، والتثنية، والجمع).

4- النوع (التذكير، والتأنيث).

5- التعيين (التعريف، والتنكير).

فالعدول عن التطابق يكون عن إحدى هذه الصور، وقد اشترط الزركشي شرطين للعدول عن التطابق والذي أسماه (الالتفات): الأول: أن يكون الضمير المُنْتَقَلُ إليه عائداً في الأمر نفسه إلى المُنْتَقَلِ عنه، والثاني: أن يكون في جملتين، أي في كلامين مستقلين، حتى أنه يمتنع بين الشرط وجوابه، وأورد شواهد عن الالتفات (الزركشي، 1957، ينظر: 331/3).

لكنه في الوقت نفسه ذكر بأنه قد يرد الالتفات أو العدول في كلام واحد، وأنَّ الشرط في الالتفات بأن يكون في كلامين مستقلين فيه نظر؛ لأنه ورد في القرآن الكريم في كلام واحد كثيرًا، منها قوله تعالى: وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَيٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحمَتِي (العنكبوت: 23)، وقوله: إِنَّآ أَرسَلنَٰكَ شَٰهِدا وَمُبَشِّرا وَنَذِيرا لِّتُؤمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ (الفتح: 8-9)، وغيرها من الشواهد (الزركشي،

1957، ينظر: 3/ 332)، والملاحظ هنا أنَّ الشرط الأول لازم، أما الشرط الثاني؛ فإنه غير لازم، بل هو مفضل، فالأفضل أنْ يكون العدول في كلامين مستقلين. وعلى أية حال فإن صور العدول عن التطابق التي وردت عند ابن الجوزي في كتابة جاءت على النحو الآتي:

أولاً: العدول عن التطابق في العدد:

ويقصد به التطابق في الإفراد، والتثنية، والجمع، ولعل من أهم صور التطابق التي تراعيها اللغة صورتين هما: التطابق في الإفراد والتعدد، والتطابق في التذكير والتأنيث (أبو المكارم، 2006، ينظر: 209).

فالتطابق العددي أحد أهم الصور اللغوية، فإذا كان المخاطب واحدًا يجرد الكلام من الصيغ والضمائر التي تدل على الجمع، وإذا كان المخاطبان اثنين يستعمل صيغ المثنى وألف الاثنين في الأفعال، كذلك الحال في الجمع يستعمل له صيغ الجمع، فلا نقول: (علي ومحمدٌ قادمٌ)، ولا (الأولاد قادم أو قادمان).

وقد يعدل عن التطابق العددي ويعبر عن الجماعة بصيغة المفرد لغرض معنوي، وقد جاء ذلك عند ابن الجوزي كثيرًا منه قوله: "قيد الخلائق بقيد التكليف وابتلاهم بما تسمع وما ترى" (ابن الجوزي، 2013: 60)، فإنه استخدم صيغتي المفرد في (تسمع)، و(ترى)، ويقصد به الجماعة.

كذلك قوله: "يا خائضًا في ظلمات الظلم، ستعاين ما تنتظر، أما علمت أنَّ الجبال من الحصى وأنَّ الأرض بها تستقر" (ابن الجوزي، 2013: 120)، و"يا غائبًا عن رفاق التائبين قسمت الغنائم وأنت في نوم غفلتك نائم " (ابن الجوزي، 2013: 129)، و"ويحك جَدَّ القوم في التوبة وهزلت، عانقوا العمل وشمروا أذيال الراحة وتكاسلت" (ابن الجوزي، 2013: 190).

فكل ما سبق هو خطاب للجماعة بصيغة المفرد، فالمعلوم أن الخطب والمواعظ توجه للجماعة، وربما قيلت هذه الخطب في مجالس الوعظ والمساجد، فلماذا يستعمل خطاب المفرد؟ والجواب في قول ابن فارس: "ومن سنن العرب ذكر

الواحد والمراد الجميع كقوله للجماعة: (ضيف)، و(عدو)، قال الله جل ثناؤه: هَٰؤُلَآءِ ضَيفِي (الحجر: 68)، وقال: ثُمَّ نُخرِجُكُم طِفلا (الحج: 5)" (ابن فارس، 1997: 161).

وأرى أن خطاب الجماعة بصيغة المفرد في المواعظ أوكد وأبلغ؛ ذلك لأنَّ الفرد يشعر بأنَّ الخطاب موجه له وحده، وهو المخصوص بالكلام دون غيره، فيكون وقع الكلام عليه أكثر تأثيراً وبلاغةً. وهذا الأسلوب عند البلاغيين يسمى الإلتفات العددي، وهو قريب من الأسلوب الحكيم والخطاب الخاص في سياق عام.

وقد يعدل من خطاب الفرد إلى خطاب الجماعة، كما جاء ذلك في قول ابن الجوزي: "يا من غره الشباب، هذا فجر المشيب لاح أتلفت قوتك في الصبا وفي الكبر ترجو الصلاح، يا كهول البطالة قص الهرم من عزائمكم الجناح، أملك في الهند وربَّما كان نعشك عند الصباح" (ابن الجوزي، 2013: 66).

فالملاحظ أنه بدأ الكلام بأسلوب الخطاب للمفرد وإن قصد به الجماعة بـ(يا من غره...)، ثم عدل إلى خطاب الجماعة بـ(يا كهول البطالة...)، ثم يرجع الى خطاب الفرد، فيكون هذا العدول منفردا بين الجمل، ولعل السبب في هذا العدول هو التوبيخ، فإظهار هذه الجملة المخالفة بين جملتين يعطيها تأكيدًا في ذهن السامع، فينتبه لهذا التوبيخ، فهو يوبخهم بأنهم أصبحوا كهولاً وما زالوا لم يطرقوا باب التوبة، وأقعدهم الكبر عن السعي في خدمة ربهم، لأنهم أضاعوا الشباب بالمعصية.

ومن المخالفة في العدد أيضًا قوله: "أسكنها ملائكة من أدناس البرية مطهرين، فمنهم عاكف على بساط الحضرة، ومنهم في أفعاله مسخرون" (ابن الجوزي، 2013: 138)، ففيه التفاتان، أو عدولان عن المطابقة، الأول: (منهم عاكف... ومنهم مسخرون) إذ جعل الأول إفراد، والثاني جمع والأصل (منهم عاكفون ومنهم مسخرون)، أو (منهم عاكف ومنهم مسخر) فعدل عن ذلك، أما الثاني؛ فقوله: (ومنهم في أفعاله مسخرون)، فالأصل (ومنهم في أفعالهم مسخرون)،

ولكنه عدل عن ذلك لتنشيط السامع، وإبعاده عن الملل والضجر، فإذا سمع شيئا مختلفا يبقى تركيزه مع الخطيب، فيصبح فاعلا في عملية التواصل وليس مستجيبًا فقط.

وفي قول ابن الجوزي: "يا عبد السوء كم تعصي ونستر، كم تكسر باب نهيي ونجبر" (ابن الجوزي، 2013: 126)، ففي ذلك عدولان، الأول: استعمال ضمير الجمع للمفرد وهو الله جل وعلا، أما العدول الثاني: فهو الرجوع من ضمير الجماعة إلى المفرد في كلمة (نهيي)، فأفرد هذه الكلمة في وسط الجمع، ولعل السبب في ذلك هو التوبيخ، فإفراد وتمييز هذه الكلمة يجعلها أكثر وقعاً في نفس السامع، وأكثر انتباهًا لها، فخصها بالإفراد؛ لأن العاصي عندما يرى هذه الإفراد يترائىٰ له عظمة الله وقدرته، كأنك أيها العبد العاصي قد كسرت باب نهي الله، وخرجت عن إرادته، وهو جبار السماوات والأرض، وبهذا التوبيخ والتقريع يبلغ الواعظ رسالته الوعظية في التأثير في السامع.

ومن العدول عن الإفراد إلى الجمع أيضا قوله: "يا محمد قد اصطفيناك قبل آدم في الكتاب الأول، مهدنا لك الأصلاب الزاكية والأرحام الطاهرة حتى تنزل" (ابن الجوزي، 2013: 148)، إذ عدل عن الإفراد إلى الجمع باستعمال ضمائر الجمع (نا)، وهذا الأمر كثير والسبب في العدول من الإفراد إلى الجمع هو التعظيم وليس التعدد، فالله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له.

وجاء هذا الامر كثيرًا في القرآن، منه قوله تعالى: إِنَّا فَتَحنَا لَكَ فَتحا مُّبِينا (الفتح: 1)، وقوله تعالى: نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ ٱلقَصَص (يوسف: 3)، وقوله: إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا ٱلذِّكرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ (الحجر: 9)، قال الرازي (ت606هـ): "فأما قوله: إنا نحن نزلنا الذكر، فهذه الصيغة وإنْ كانت للجمع إلَّا أنَّ هذا من كلام الملوك عند إظهار التعظيم، فإن الواحد منهم إذا فعل فعلاً، أو قال قولاً، قال: إنا فعلنا كذا وقلنا كذا" (الرازي، 1420ه: 123/19).

هذا ما كان من العدول في العدد فنراه يعدل من الإفراد إلى الجمع، أو من الجمع إلى الإفراد؛ ليحقق غاية بلاغية ليصل في وعظه إلى أقصى حد من الإقناع والتأثير في نفس المتلقي.

ثانيًا: العدول عن التطابق في الجنس (التذكير والتأنيث)

يعد التطابق في التذكير والتأنيث جوهرياً في الأساليب اللُّغوية، فهو قرينة ارتباط رئيسة بين المتطابقين، فعندما تقول: (الرجلان الفاضلان يقومان)، فهذا تركيب صحيح المطابقة، ومع إزالة المطابقة في النوع وتقول: (الرجلان الفاضلتان يقومان)، فإنَّ إزالة المطابقة تذهب بعلائق الكلمات وتقضي على الفائدة (حسان، 2006، ينظر: 212-213).

وقد يتم العدول عن التطابق في التذكير على الرغم من أنه يعد خروجًا عن القواعد المتبعة في التطابق اللُّغوي، لكنه يستند إلى بعض الأصول النحوية، وأهم هذه الأصول أنَّ تذكير المؤنث فيه نوع من الرجوع إلى الأصل، فالأصل عندهم هو التذكير، والتأنيث فرع منه (أبو المكارم، ينظر: 311).

ومن أمثلة العدول عن التطابق في النوع قوله تعالى: فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمسَ بَازِغَة قَالَ هَٰذَا رَبِّي (الأنعام: 78)، فقد أشار إلى الشمس (المؤنثة) بلفظ الإشارة (هذا) الدال على المذكر، وفي تأويله عدة وجوه: أحدها أنه على تقدير (هذا الطالع أو هذا الشيء)، أو لأنهُ انزلها بمنزلة المذكر، أو لأنه أخبر عنها بمذكر أعطيت حكمه، تقول: (هندُ ذاك الإنسان، وتيك الإنسان)، وقيل أيضًا أن لغة إبراهيم لا تفرق بين مذكر ومؤنث، ومنه أيضا قوله تعالى: فَمَن جَآءَهُۥ مَوعِظَة مِّن رَّبِّهِۦ (البقرة: 275)، فهو محمول على تقدير (الوعظ)، لأن الموعظة والوعظ شيء واحد (ابن جني، 1990، ينظر: 414/2)، (الحلبي: 14/5)، (الهمداني، 1980، ينظر: 31/1).

وخلاصة الأمر أنَّ الأصل هو التطابق في النوع في التذكير والتأنيث، ولكن العدول عن هذا التطابق ليس عشوائيا، بل يجب أن تكون فيه فائدة، وتخدم المعنى المراد إيصاله للمتلقي، وإلَّا صار ذلك عبثاً ولغواً في الكلام.

وجاء العدول عن التطابق في النوع (التذكير والتأنيث) عند ابن الجوزي، في قوله: "ألفاضي لا يفهمهُ إلا من له شوق، المجلس حلة طرازها الموعظة" (ابن الجوزي، 2013: 299)، إذ عدل عن التطابق في التأنيث، فكلمة (ألفاظ) تستوجب التأنيث في الضمير العائد عليها من الفعل (يفهمه)، فيكون الأصل (ألفاظي لا يفهمها)، لكنه عدل عن ذلك من التأنيث إلى التذكير.

ولعل القصد من هذا العدول هو المبالغة، فقد سبق بكلام يمتدح وعظَهُ وكلامه فقال: "عذب كلامي لا يذوقه إلا من لهُ ذوق لطيف، ألفاظي لا يفهمه إلا من له شوق" (ابن الجوزي، 2013: 299)، وهذا المدح أضاف له العدول عن المطابقة في التأنيث، كأنه شيء غريب يلفت الانتباه، مع ما في الكلام من التوكيد (توكيد بالقصر)، فذكر (يفهمه) مع أن المبتدأ (ألفاظي) مؤنث مجازي، كنوع من التفخيم والمدح.

ومن العدول عن التطابق في النوع أيضا قوله: "كم وعظكم الأيام والشيب كأنكم ما سمعتموه " (ابن الجوزي، 2013: 351)، ففيه عدولان عن التطابق، الأول: من خلال تذكير المؤنث، وذلك بتجريد الفعل من تاء التأنيث، فالأصل (كم وعظتكم الأيام)، نقول: (هذه الأيام)، و(تلك الأيام)، قال تعالى: وَتِلكَ ٱلأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَينَ ٱلنَّاس (آل عمران: 140)، فقد استعمل مع لفظ (الأيام) اسم الإشارة للمفرد المؤنث.

وإن كان حذف التاء جائزًا مع جموع التكسير، فإذا كان الفاعل جمع تكسير جاز إثبات تاء التأنيث وحذفها، فإثباتها على تقدير (الجماعة)، وحذفها على تقدير (الجمع) (ابن مالك، 2000، ينظر: 162-163)، (السامرائي، 2000، ينظر: 60/2)، لكن الأكثر والشائع هو إثباتها، فعندما تسمع (مَرَّ الأيام) يشد انتباهك

هذا؛ لأن الأكثر استعمالاً هو (مَرَّت الأيام)، ولعل سبب هذا العدول هو التوبيخ، فكأنه يريد أن يوبخهم على ضياع الأيام، فالزمن والأيام أفضل واعظ بما فيهما من خير وشر، ونشوة وانكسار، وغنى وفقر، فهما خير واعظ، ولكن ما من مُتَّعِظ!، وهذا التوبيخ ما كان ليتحقق إلا أن يلفت انتباه السامع أو القارئ لهذه الجملة، ويشد تركيزه لها، وتحقق ذلك بالعدول عن التطابق في التأنيث.

ومما يؤكد ذلك هو العدول الثاني، فقد عدل عن المطابقة في العدد في قوله: (كأنكم ما سمعتموه)، فقد عطف الشيب على الأيام فوجب أن يستعمل ألف التثنية مع الضمير، فالأصل (كأنكم ما سمعتموهما) لكنه عدل عن ذلك تماشيًا مع العدول الأول عن التطابق في النوع، وعدل عن التثنية إلى الإفراد ليحقق مراده في إيصال رسالته، ويكون ذلك بشد انتباه السامع أو القارئ معه، وغرض هذان العدولان هو التوبيخ والتقريع.

وقوله: "بيَّضتَ ثوبك، وسوَّدتَ قلبك، ستعلم إذا نُزِعَ الروح بالنزع، أسكرك حب الرياسة ويوم الحصاد ما لك من زرع" (ابن الجوزي، 2013: 524)، فقد عدل من التأنيث إلى التذكير بتجريد الفعل المبني للمجهول من تاء التأنيث، فالأصل (نُزِعَتِ الروح)، فعدل عن التأنيث لغرض شد انتباه السامع إليه، ولكي يحقق غرضا أخر وهو معنى الجملة التي تحمل معنى التحذير والإنذار، فينتبه السامع لهذه الجملة بفعلها المختلف عن العادة إذ الشائع إسناده إلى تاء التأنيث، وبالتالي يحقق هذا العدول عن التطابق في النوع غرضين هما التنبيه، والتحذير.

واهتم ابن الجوزي كثيرا بالسجع والقافية لدرجة أنه كسر بعض القواعد النحوية واللغوية لأجلهما، ومن ذلك ما وجدته من مخالفة التطابق في قوله: "صمد صمدت إليه الموجودات فأرزاقهم في كفاية كفالته مدموج ومضمون، خلق الأرواح قبل الأشباح بسرٍّ من الحكمة مصون" (ابن الجوزي، 2013: 210)، فقد خالف المطابقة بين المبتدأ (أرزاقهم)، والخبر (مدموج)، فالأصل (فأرزاقهم مدموجةٌ)؛ ذلك لأنه لو تم تأنيث الخبر لوجب تأنيث المعطوف عليه وهو الاسم (مضمون)، فتكون (فأرزاقهم مدموجة ومضمونة)، فلا يكون السجع، ولا

تتم القافية وهي قافية النون، فهذا العارض هو لأجل السجع والقافية ليس إلا، لكي يناسب قافية النون (العيون، ويكون، ومضمون ومصون).

ومثله قوله أيضًا: "إعراب توبتك مبهم، وعزيمة عزمك مضمر" (ابن الجوزي، 2013: 255)، وهنا عدل عن التأنيث في قوله: (وعزيمة عزمك مضمر)، والأصل أن يقول (مضمرة)، لأن التطابق بين المبتدأ والخبر واجب، فالمبتدأ مؤنث وهو (عزيمة عزمك)، والخبر مذكر وهو (مضمر)، ولا أرى سببًا لهذا العدول غير مراعاة القافية والسجع، فقد سبق هذا بقوله: "قل لي بماذا يكون السفر؟ سفر بعيد ولا زاد، أما علمت أنَّ آخره المحشر، إعراب توبتك مبهم، وعزيمة عزمك مضمر، مجاهدتك حلم وعلمك في الآخرة نكرة، وأنت أنكر" (ابن الجوزي، 2013: 255)، فالملاحظ أنه حذف علامة التأنيث من الاسم لهذا الغرض، لئلا تفسد قافية الراء، ويذهب السجع.

فالحفاظ على السجع وهذا الترتيب النغمي - إذا صح التعبير- له فوائد منها أنها تجعل المتلقي يسهل عليه حفظها وفهمها، فالعبارات القصيرة ذات القافية الواحدة تشد انتباه السامع، وتجعله متلهفًا لسماعها فلا يغفل عنها، ولا يشعر بالملل، لذلك اهتم ابن الجوزي كثيرا بالسجع والقافية، لما لهما من أثر في نفس المتلق.

ويمكن تعليل العدول لأجل السجع بأنَّ الخطب الوعظية في القرن السادس تعتمد على الإيقاع اللفظي، وأنَّ السجع عند الوعاظ ليس للتزيين فقط، بل هو للتذكير والحفظ، وهو من عناصر بناء (خطاب التأثير) في زمانه، وهذا ما يفسر كسر القواعد النحوية أحيانا.

ومن مخالفة التطابق لأجل تنشيط السامع لئلا يشعر بالملل، جاء قول ابن الجوزي: "العارف تزاحم عليه المعارف سعدها وسعيدها" (ابن الجوزي، 2013: 364)، فعدل عن التأنيث في الفعل (تزاحم)، والأصل (تتزاحم)، فحذف تاء المؤنثة من المضارع، ولعل الغرض من هذا العدول هو تنشيط السامع حتى لا

يشعر بالملل من الكلام، ولا يتضجر منه، فلجأ لذلك من خلال تنويع الأسلوب، من خطاب المؤنث إلى خطاب المذكر، وجاء هذا العارض لتحقيق هذا الغرض.

وقوله: "مجلسي روضة ربيع جمعت أزهار الفصاحة وفواكه الأمثلة" (ابن الجوزي، 2013: 228)، إذ عدل عن التذكير إلى تأنيث الفعل (جمعت) بتاء التأنيث مع أنَّ الفاعل مستتر يعود على (مجلسي)، والملاحظ أن الفعل (جمعت) غير مُحرَّك في الكتاب، وأشارت المحققة في الهامش إلى أنَّه في الأصل (جمع)، وتم تصويب الفعل من نسختين أخريين (ابن الجوزي، 2013، ينظر: 228، الهامش رقم (5) في الكتاب)، ولكنها حتى عند التصويب لم تحرك الفعل في الهامش، فإذا كان الفعل مبنيًا للمعلوم ففيه عدول عن التطابق، وغرضه تنشيط السامع وإبعاده عن الملل، أما إذا كان الفعل مبنيًا للمعلوم (جُمِعَتْ) فهو يحتاج إلى شبه جملة ليتضح فتقول: (مجلسي روضة ربيع جُمِعَتْ فيه أو إليه فواكه الفصاحة...)، لا أن يبقى الكلام مبهما، وهذا وهمٌ من المحققة؛ لأنها لم تحرك الفعل ليتضح وتركته مبهمًا.

ثالثًا: العدول عن التطابق في الضمير من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة:

قد يعدل المتكلم عن التطابق في الضمير من الخطاب إلى الغيبة والعكس، لأغراض تفيد المعنىٰ، قال ابن الأثير (ت637هـ): "والذي عندي في ذلك أنَّ الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى الخطاب لا يكون إلا لفائدة اقتضته، وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، غير أنَّها لا تحد بحد، ولا تضبط بضابط، لكن يشار إلى مواضع منها ليقاس عليها..." (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 4/2).

فمن العدول من الخطاب إلى الغيبة قوله تعالى: وَلَو أَنَّهُم إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُم جَآءُوكَ فَٱستَغفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱستَغفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابا رَّحِيم (النساء: 64)، فالخطاب الأول للمخاطب في الفعل (جاءوك)، ثم عدل عنه إلى خطاب الغيبة

فقال: (فاستغفر لهم الرسول)، وهذا العدول لغاية هي التفخيم لشأن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتعظيما لاستغفاره (القزويني: 2/92-93).

فلا بد للعدول عن التطابق من فائدة، إذ الأصل أنْ يطابق الضمير ما يعود عليه، فإن كان ما يعود عليه مخاطبا استعمل ضمير الخطاب، وإن كان غائبا استعمل ضمير الغياب، أما إذا كان متكلما؛ فإنه لابد من استعمال ضمير التكلم، وهذا التطابق مهم في النظام اللغوي فهي الصلة التي تربط بين المتطابقين، فتكون نفسها قرينة ارتباط في المعنى، فعند إزالة التطابق من دون وجود ما يدفع إلى ذلك يختل المعنى وتذهب الفائدة، فمثلاً لو أزلنا المطابقة في الشخص وقلنا: (الرجلان الفاضلان تقومان) اختل المعنى ولا تتحقق الفائدة (حسان، 2006، ينظر: 212-213)، (أبو المكارم، ينظر: 307).

والعدول عن هذا التطابق لابُدَّ من أن يكون ذا فائدة، وارجع النحاة السبب في ذلك إلى أنَّ العدول يهدف إلى تقوية المعنى وتأكيده، وذلك أنّ السامع حين يُفاجَأ بضمير يعود على غير ما هو له، يبذل من طاقته الفكرية ما يكشف به وما يعود إليه، ثم يحاول أن يستكشف بعد ذلك السر في هذا التفاوت بين الضمير وما يشار به إليه، وبهذا لا يكون السامع في موقف سلبي دائما يتلقىٰ من المتكلم أو الكاتب ما يقول دون جهد منه، وإنما يشارك إيجاباً في النشاط اللغوي حتى وإنْ كان سامعا (أبو المكارم، ينظر: 307).

ومن مظاهر العدول عن التطابق في الضمير عند ابن الجوزي، ما جاء في قوله: "يا من تحدثه الحوادث وهو لا يسمع، يا من تناديه العبر ارجع الى الطريق فما يرجع، جس طبيب الموعظة نبض عزمك، فما وجد في حياتك مطمع..." (ابن الجوزي، 2013: 60)، إذ بدأ بأسلوب التكلم عن الغائب في قوله: (هو، وتناديه، ويرجع)، ثم عدل إلى أسلوب التكلم إلى المخاطب في قوله: (عزمك، وحياتك) مع أنَّ المخاطب واحد.

ولعل الغرض من هذا العدول من الغيبة إلى الخطاب هو التوبيخ، كأنه يخاطب قوماً حاضرين أمامهُ فيتوجه بالخطاب إليهم ليوبخهم، وما يساعد على ذلك هو أسلوب الخطبة، والتي تحمل معنى اللوم والتوبيخ والتقريع، فبدأ بخطاب الغائب، ثم عدل إلى أسلوب الخطاب، كأنه يتجه بوجهه إليهم فيقرعهم ويوبخهم.

ومثله قوله: "يا أعمى البصيرة، يا من هو بالغفلة ممتحن، كم بنار الشهوة تحرق نفسك" (ابن الجوزي، 2013: 89)، فعدل من خطاب الغائب إلى المخاطب للغرض نفسه، وهو التوبيخ والتقريع، فلو سار الكلام على وتيرة واحده لقال: (يا أعمى البصيرة، يا من هو بالغفلة ممتحن، كم بنار الشهوة يحرق نفسه)، وهذا العدول للمخاطب جاء لتحقيق هذا الغرض وشد انتباه السامع للتوبيخ.

وقد جاء هذا الأسلوب في القرآن الكريم في قوله تعالى: وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحمَٰنُ وَلَدا لَّقَد جِئتُم شَيأً إِدّا (مريم: 88-89)، فالخطاب في الأول للغائب في قوله: (قالوا)، ثم عدل إلى الخطاب بقوله: (جئتم)، ولم يقل: (جاءوا) ليناسب الغائب!، وهذا العدول سببه التوبيخ للدلالة على أنَّ من قال قولهم ينبغي أنْ يكون موبخاً عليه ومنكرًا، كأنه يخاطب به قوماً حاضرين، ومثله قوله تعالى: فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسوَدَّت وُجُوهُهُم أَكَفَرتُم بَعدَ إِيمَٰنِكُم (آل عمران 106).

فعدل من الغيبة إلى الخطاب أيضا (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 5/2)، (الزركشي، 1957، ينظر: 322/3-323)، وهذا الأسلوب في العدول أفاد منه ابن الجوزي في خطبه.

ومن العدول في الضمير أيضاً قوله: "ويحك بعد المشيب تلهو، يا من قلبه قد مات، ظاهرك أبيض نقي، وقلبك أظلم من الظلمات" (ابن الجوزي، 2013: 207)، إذ بدأ الكلام للمخاطب في (ويحك، وتلهو)، ثم عدل إلى الخطاب الغائب في (يا من قلبه قد مات)، ولم يقل (يا من قلبك قد مات)، فصرف الكلام من المخاطب إلى الغائب، ثم رجع إلى المخاطب، وهذا العدول لعل سببهُ يكون التوبيخ والتقريع، فكأنه بالعدول إلى خطاب الغائب يعرض بوجهه عن المخاطب

أو السامع، فينتبه السامع لهذا التوبيخ والإعراض، ويدخل ضمن هذا العدول أيضا التنبيه، فعندما يسمع المخاطب صيغة الغائب تثير انتباهه ويشده الخطاب إلى المتكلم فيتحقق الأمران معاً التنبيه والتوبيخ.

ومثله قوله تعالى: إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُم أُمَّة وَٰحِدَة وَأَنَا۠ رَبُّكُم فَٱعۡبُدُونِ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمرَهُم بَينَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَينَا رَٰجِعُونَ (الأنبياء: 92-93)، فصرف الخطاب من التكلم إلى الغيبة في (تقطع أمرهم) كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين، ويقبح عندهم ما فعلوه، وهذا توبيخ وتقريع لهم بسوء صنيعهم (ابن الأثير، 1420ه، ينظر: 2/ 10-11)، (الحلبي: 97/8).

ومن العدول من الغيبة إلى المخاطب قوله: "واعجباه كم لي أعاتب المهجور والعتب لا ينفع، كم لي أنادي الأطروش (*) لو كان النداء يسمع، كم لي أحدث قلبك وفي سماعك أطمع، واهاً عليك يا جامد العين قَطَّ ما تدمع..." (ابن الجوزي، 2013: 242)، فبدأ الكلام في التحدث بخطاب الغائب كأنه يتحدث عن قوم آخرين غائبين ثم يعدل إلى المخاطب والغرض من هذا العدول هو التنبيه، فكأنه يقول: (انتبه أيها المهجور واسمع أيها الاطروش فالمقصود هو أنت)، فهو انتقال من خطاب عام إلى الخاص.

ومثله قوله: "يا مضيعا عمره في البطالة ويبكي على الأمل، كم أملٍ كاذب أوصل آمله إلى الأجل، سنك يضحك في تحصيل الحرام، وشيبك يبكي من هذا العمل" (ابن الجوزي، 2013: 258)، فانتقل من خطاب الغائب إلى المخاطب لغرض التنبيه.

ومن العدول من المخاطب إلى الغائب جاء قوله: "إلهي أجري عندك أن تجري ذكري على ألسنة أوليائك بالدعاء لي أن يرحم الله (عز وجل) غربتي إذا نسينا الذاكرون يا أرحم الراحمين" (ابن الجوزي، 2013: 339)، فقد بدأ الكلام للمخاطب، وهو الله، وأسند إلى كاف الخطاب ثم عدل إلى الغائب بقوله: (بأن يرحم الله عز وجل- غربتي).

ولعل سبب هذا العدول هو التعظيم لشأن الله وتفخيمه بذكر اسمه فهو أعظم أسمائه، فالأصل لو استمر الكلام بتناسق أن يقول: (الهي اجري عندك أن تجري ذكري على ألسنة أوليائك بالدعاء لي بأنْ ترحمَ غربتي)، ولكنه عدل إلى الغائب لأجل تعظيم الله فهو القادر على الرحمة، لا راحمَ سواه، وطلب الرحمة يستوجب التضرع والتذلل، ومن أساليب ذلك هو تعظيم المطلوب وتفخيمه بأعظم صفاته وأسماءه.

نتائج البحث:

1- يعد ابن الجوزي من العلماء البارعين في اللغة، وبرع وأبدع في فن الخطابة والوعظ، فلم يترك وسيلة في تقوية الخطاب إلا وسلكها وأفاد منها.

2- أفاد ابن الجوزي من العدول عن التطابق كثيرًا في إيصال فكرته في الوعظ، فنجده يوجّه الخطاب للمفرد ثم إلى الجماعة، أو العكس، أو يعدل من التأنيث إلى التّذكير، وهذه الأمور كلّها جاءت لتقوية الخطاب، وإيصال الفكرة أو لتجنيب المخاطب الشعور بالملل، وشدّ انتباهه.

3- يبين تحليل خطاب ابن الجوزي أن العدول عن التطابق لم يكن اضطرابًا لغويًا، بل كان آلية واعية ذات وظيفة اتصالية محددة، سواء في السياق العاطفي للوعظ أو في البناء الإيقاعي للسجع. وقد أدى هذا العدول دورًا مهمًا في تكوين الجملة الوعظية الألمعية ذات الإيقاع القوي والوقع النفسي.

4- يخضع العدول عند ابن الجوزي لمنطقين أساسيين هما: منطق بلاغي معنوي: (التوبيخ - التعظيم - التنبيه - الشمول - التخصيص)، ومنطق إيقاعي: (السجع والقافية).

5- ان العدول ليس شذوذًا نحويًا بل هو: رخصة بلاغية، وتحويل أسلوبي يحكمه قصد المتكلم، وتدعمه القرائن السياقية.

6- جاء الأكثر العدول عن التطابق من المفرد الى الجمع لغرض التعظيم أو لشد انتباه السامع لينتبه.

المراجع:

القران الكريم.
- ابن الأثير، ضياء الدين (ت637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط ،1420هـ.
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ)، المورد العذب في المواعظ والخطب: دراسة وتحقيق: الدكتورة أروى سمير مجذوب، دار التبيان للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1432هـ 2013م.
- ابن الحاجب، جمال الدين بن عثمان بن عمر بن أبي بكر المصري الأسنوي المالكي (ت646ه)، الكافية في علم النحو، تحقيق: الدكتور صالح عبد العظيم الشاعر، مكتبة الآداب - القاهرة، ط1، 2010م.
- ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن محمد (ت296هـ)، البديع في البديع: دار الجيل، ط1، 1410هـ 1990م.
- ابن جني، أبو الفتح عثمان (ت392هـ)، الخصائص: تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، ط4، 1990م.
- ابن دريد، محمد بن الحسن (ت321هـ)، جمهرة اللغة: تحقيق: رمزي منر بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي (ت 395هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

- ابن فارس، أحمد بن زكريا الرازي (ت395هـ)، معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السّلام محمد هارون، دار الفكر، د.ط، 1399هـ 1979م.
- ابن مالك، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد (ت686هـ)، شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك: تحقيق: محمد باسل عيون السّود، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1420 هـ-2000م.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين الأنصاري (ت711هـ)، لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط 3، 1414هـ.
- ابن هشام، الإمام أبي محمد عبد الله الأنصاري (ت761هـ)، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب: حققه وفصّله وضبط غرائبه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة المدني، القاهرة، د.ط، د.ت.
- أبو المكارم، د. علي، أصول التفكير النحوي: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة.
- أبو المكارم، د. علي، الظواهر اللغوية في التراث النحوي: دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، ط1، 2006م.
- الأزهري، محمد بن أحمد (ت370هـ)، تهذيب اللغة: تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2001م.
- الأستربادي، شرح الرضي على الكافية: تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قار يونس بنغازي، ط2، 1996م.
- الجرجاني، عبد القاهر (ت471هـ)، دلائل الإعجاز: قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط 3، 1413هـ 1992م.
- حسان، تمام. اللغة العربية معناها ومبناها: عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1427هـ 2006م.
- الحلبي، أبو العباس أحمد بن يوسف، الدُّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون: (ت756هـ) تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط د.ت.

- الرازي، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي (ت606ه)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط3، 1420ه.

- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت794هـ)، البرهان في علوم القرآن: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1376هـ 1957م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت538هـ)، أساس البلاغة: تحقيق: محمد باسل عيون السّود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ 1998م.

- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو (ت538هـ)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 3 - 1407ه.

- السامرائي، د. فاضل صالح. معاني النحو: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1420هـ 2000م.

- السكاكي، للإمام أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت626هـ)، مفتاح العلوم، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، ط2، 1987م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

- سيبويه، عثمان بن قنبر، الكتاب: تحقيق: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2- 2009م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ)، الإتقان في علوم القرآن: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط 1394هـ - 1974م.

- العلوي، يحيى ابن حمزة، (ت745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط 1، 1423هـ.

- الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت175هـ)، كتاب العين: تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، بغداد، العراق، د.ط، 1980 - 1985م.
- القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر المعروف بخطيب دمشق (ت739هـ)، الإيضاح في علوم البلاغة: تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط 3، د.ت.
- الهمداني، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت769هـ)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، ط20، 1400هـ - 1980م.